لك أن نافى نفسك من رأس الحلة فقلت والله لأنا أسر بقدوم رسول الله ﷺ من موسى بن عمران إذ بعث . وهذا حديث غريب جدا آخر تفسير سورة الرعد ولله الحمد والمنه

﴿ تفسير سورة إبرهيم عليه السلام وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ الر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور (كتاب أنزلناه إليك) أى هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذى هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله فى الأرض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم (لنخرج الناس من الظلمات إلى النور) أى إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغى إلى الهدى والرشد كما قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) الآية . وقال تعالى (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور) الآية وقوله (بإذن ربهم) أى هو الهادى لمن قدر له الهداية على يدى رسوله المبعوث عن أمره يهديهم (إلى صراط العزيز) أى العزيز الذى لا يمانع ولا يغالب بل هو القاهر لكل ماسواه (الحميد) أى المحمود فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه الصادق فى خبره وقوله (الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) قرأ بعضهم مستأنفاً مرفوعا وقرأ آخرون على الاتباع صفة للجلالة كقوله تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض) الآية وقوله (وويل للكافرين من عذاب شديد) أى ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك يا محمد وكذبوك ، ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أى يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم (ويصدون عن سبيل الله) وهى اتباع الرسل (ويبغونها عوجا) أى ويحبون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة عائلة وهى مستقيمة فى نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها فهم فى ابتغائهم ذلك فى جهل وضلال بعيد من الحق لا يرجى لهم والحالة هذه صلاح

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم كما روى الأمام أحمد حدثنا وكيع عن عمر بن ذر قال : قال مجاهد عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ « لم يبعث الله عزوجل نبيا إلا بلغة قومه » وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) أى بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل الله من يشاء عن وجه الهدى ويهدى من يشاء إلى الحق (وهو العزيز) الذى ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن (الحكيم) فى أفعاله فيضل من يستحق الاضلال ويهدى من هو أهل لذلك ، وقد كانت هذه سنته فى خلقه أنه مابعث نبيا فى أمة إلا أن يكون بلغتهم فاختص كل نبى بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم واختص محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة إلى سائر الناس كما ثبت فى الصحيحين عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » وله شواهد من وجوه كثيرة وقال تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِئَايَٰتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم تدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور كذلك أرسلنا موسى إلى بنى إسرائيل بآياتنا قال مجاهد : هى التسع الآيات (أن أخرج قومك) أى أمرناه قائلين له (أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أى ادعهم إلى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان (وذكرهم بأيام الله) أى بأياديه ونعمه عليهم فى إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه وإنجائه إياهم من عدوهم وفلقه لهم البحر وتظليله إياهم العمام وانزاله عليهم المن والسلوى إلى غير ذلك من النعم قال ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد ، وقد ورد فيه الحديث المرفوع الذى رواه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل فى مسند أبيه حيث قال حدثنى يحيى بن عبد الله مولى بنى هاشم حدثنا محمد بن أبان الجعفى عن أبى إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وذكرهم بأيام الله) قال بنعم الله ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث محمد بن أبان به ورواه عبد الله ابنه أيضا موقوفا وهو أشبه ، وقوله (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى إن فيما صنعنا بأوليائنا بنى إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبرة لكل صبار أى فى الضراء شكور أى فى السراء كما قال قتادة نعم العبد عبد إذا ابتلى صبر وإذا أعطى شكر . وكذا جاء فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن أمر المؤمن كله عجب لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته صراء صبر فكان خيرا له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له »

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن موسى حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون وما كانوا يسومونهم به من العذاب والاذلال ، حيث كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم ويتركون إناثهم فأنقذهم الله من ذلك وهذه نعمة عظيمة ولهذا قال (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أى نعمة عظيمة منه عليكم فى ذلك أنعم عاجزون عن القيام بشكرها . وقيل وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل (بلاء) أى اختبار عظيم ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا والله أعلم كقوله تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقوله (وإذ تأذن ربكم) أى آذنكم وأعلمكم بوعده لكم ، ويحتمل أن يكون المعنى : وإذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه كقوله تعالى (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة) وقوله (لئن شكرتم لأزيدنكم) أى لئن شكرتم نعمتى عليكم لأزيدنكم منها (ولئن كفرتم) أى كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها (إن عذابى لشديد) وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها وقد جاء فى الحديث « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » وفى المسند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به سائل

فأعطاه تمرة فتسخطها ولم يقبلها ثم مر به آخر فأعطاه إياها فقبلها وقال تمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر له أربعين درهما أو كما قال: قال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا عمارة الصيدلانى عن ثابت عن أنس قال أتى النبى ﷺ سائل فأمر له بتمرة فلم يأخذها أو وحش بها — قال — وأتاه آخر فأمر له بتمرة فقال سبحان الله تمرة من رسول الله ﷺ فقال للجارية « اذهبى إلى أم سلمة فأعطيه الأربعين درهما التى عندها » تفرد به الإمام أحمد وعمارة بن زاذان وثقه ابن حبان وأحمد ويعقوب بن سفيان ، وقال ابن معين : صالح وقال أبو زرعة لا بأس به وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين ، وقال البخارى ربما يضطرب فى حديثه وعن أحمد أيضا أنه قال روى أحاديث منكرة ، وقال أبو داود ليس بذاك وضعفه الدارقطنى وقال ابن عدى لا بأس به ممن يكتب حديثه

وقوله تعالى (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنىٌ حميد) أى هو غنى عن شكر عباده وهو الحميد المحمود وإن كفره من كفره كقوله (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم) الآية وقوله (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد) وفى صحيح مسلم(١) عن أبى ذر عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال « ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك من ملكى شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر » فسبحانه وتعالى الغنى الحميد

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾

قال ابن جرير هذا من تمام قول موسى لقومه يعنى وتذكيره إياهم بأيام الله بانتقامه من الأمم المكذبة بالرسل ، وفيما قال ابن جرير نظر ، والظاهر أنه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الأمة فانه قد قبل إن قصة عاد وثمود ليست فى التوراة فلو كان هذا من كلام موسى لقومه وقصصه عليهم لاشك أن تكون هاتان القصتان فى التوراة والله أعلم و بالجملة فالله تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل مما لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل (جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات ، وقال ابن إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله أنه قال فى قوله (لا يعلمهم إلا الله) كذب النسابون وقال عروة بن الزبير ماوجدنا أحداً يعرف مابعد معد بن عدنان وقوله (فردوا أيديهم فى أفواههم) اختلف المفسرون فى معناه قيل معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت عنهم لما دعوهم إلى الله عز وجل وقيل بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيباً لهم ، وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة: معناه أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم قال ابن جرير و توجيهه أن فى هنا بمعنى الباء قال وقد سمع من العرب أدخلك الله بالجنة يعنون فى الجنة ، وقال الشاعر :

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكنى عن سنبس لست أرغب

يريد أرغب بها قلت ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب) فكأن هذا والله أعلم تفسير لمعنى (فردوا أيديهم فى أفواههم) وقال سفيان الثورى وإسرائيل عن أبى إسحق عن أبى الأحوص عن عبدالله فى قوله (فردوا أيديهم فى أفواههم) قال عضوا عليها غيظا وقال شعبة عن أبى إسحق عن أبى هبيره بن مريم عن عبدالله أنه قال ذلك أيضا ، وقد اختاره عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ووجهه ابن جرير مختارا له بقوله تعالى عن المنافقين (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وقال العوفى عن ابن عباس لما سمعوا كلام الله عجبوا ورجعوا

(١) قوله وفى صحيح مسلم إلخ الموجود هنا بعض الحديث .

بأيديهم إلى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به الآية يقولون لا نصدقكم فيما جئتم به فان عندنا فيه شكا قويا

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له قالت الرسل (أفي الله شك) وهذا يحتمل شيئين (أحدهما) أفي وجوده شك فان الفطر مشاهدة بوجوده ومجبولة على الاقرار به فان الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطرار فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه (فاطر السموات والأرض) الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق فان شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلاهه ومليكه، والمعنى الثاني في قولهم (أفي الله شك) أي أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له فان غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى، وقالت لهم رسلهم (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي في الدار الآخرة (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي في الدنيا كما قال تعالى (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) الآية فقالت لهم الأمم محاجين في مقام الرسالة بعد تقدير تسليمهم المقام الأول وحاصل ما قالوه (إن أنتم إلا بشر مثلنا) أي كيف نتبعكم بمجرد قولكم ولما نر منكم معجزة (فأتونا بسلطان مبين) أي خارق نقترحه عليكم (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) أي صحيح انا بشر مثلكم في البشرية (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) أي بالرسالة والنبوة (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان) على وفق ما سألتم (إلا بإذن الله) أي بعد سؤالنا إياه وإذنه لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي في جميع أمورهم ثم قالت الرسل (وما لنا أن لا نتوكل على الله) أي وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها (ولنصبرن على ما آذيتمونا) أي من الكلام السيء والأفعال السخيفة (وعلى الله فليتوكل المتوكلون).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ * وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾

يخبر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الاخراج من أرضهم والنفي من بين أظهرهم كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) الآية. وكما قال قوم لوط (أخرجوا آل لوط من قريتكم) الآية وقال تعالى إخباراً عن مشركي قريش (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك

إلا قليلا) وقال تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وكان من صنعه تعالى أنه أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وجندا يقاتلون فى سبيل الله تعالى ولم يزل يرقيه تعالى من شىء إلى شىء حتى فتح له مكة التى أخرجته ومكن له فيها وأرغم أنوف أعدائهم منهم من سائر أهل الأرض حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان فى مشارق الأرض ومغاربها فى أيسر زمان ولهذا قال تعالى (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم كما قال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين* إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) الآية (وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) وقوله (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) أى وعيدى هذا لمن خاف مقامى بين يدى يوم القيامة وخشى من وعيدى وهو تخويفى وعذابى كما قال تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) وقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله (واستفتحوا) أى استنصرت الرسل ربها على قومها قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم استفتحت الأمم على أنفسها كما قالوا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ويحتمل أن يكون هذا مرادا وهذا مرادا كما أنهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر واستفتح رسول الله ﷺ واستنصر ، وقال الله تعالى للمشركين (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم) الآية والله أعلم (وخاب كل جبار عنيد) أى متجبر فى نفسه عنيد معاند للحق كقوله تعالى (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد ، مناع للخير معتد مريب ، الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد) وفى الحديث « انه يؤتى بجهنم يوم القيامة فتنادى الخلائق فتقول إنى وكلت بكل جبار عنيد » الحديث . خاب وخسر حين اجتهد الأنبياء فى الابتهال إلى ربها العزيز المقتدر ، وقوله (من ورائه جهنم) وراء هنا بمعنى أمام كقوله تعالى (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وكان ابن عباس يقرؤها وكان أمامهم ملك أى من وراء الجبار العنيد جهنم أى هى له بالمرصاد يسكنها مخلدا يوم المعاد ويعرض عليها غدواً وعشيا إلى يوم التناد (ويسقى من ماء صديد) أى فى النار ليس له شراب إلا من حميم وغساق فهذا حار فى غاية الحرارة وهذا بارد فى غاية البرد والنتن كما قال (هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج) وقال مجاهد وعكرمة : الصديد من القيح والدم ، وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده وفى رواية عنه الصديد ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القيح والدم ، وفى حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد ابن السكن قالت قلت يا رسول الله ما طينة الخبال قال « صديد أهل النار » وفى رواية « عصارة أهل النار » وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحق أنبأنا عبد الله أنا صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بشر عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال « يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره » يقول الله تعالى (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) ويقول (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) الآية ، وهكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن المبارك به ورواه هو وابن أبى حاتم من حديث بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو به ، وقوله (يتجرعه) أى يتغصصه ويتكرهه أى يشربه فهرا وقسرا لا يسيغه فى فمه حتى يصربه الملك بمطراق من حديد كما قال تعالى (ولهم مقامع من حديد) (ولا يكاد يسيغه) أى يردرده لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذى لا يستطاع (ويأتيه الموت من كل مكان) أى يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعصائه قال عمرو بن ميمون بن مهران من كل عظم وعصب وعرق ، وقال عكرمة حتى من أطراف شعره ، وقال إبراهيم التيمى من موضع كل شعرة أى من جسده حتى من أطراف شعره وقال ابن جرير (ويأتيه الموت من كل مكان) أى من أمامه وخلفه وفى رواية وعن يمينه وشماله ومن فوقه

ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده ، وقال الضحاك عن ابن عباس (ويأتيه الموت من كل مكان) قال أنواع العذاب الذى يعذبه الله بها يوم القيامة فى نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لوكان يموت ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) ومعنى كلام ابن عباس رضى الله عنه أنه مامن نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت ولكنه لا يموت ليخلد فى دوام العذاب والنكال ولهذا قال تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) وقوله (ومن ورائه عذاب غليظ) أى وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أى مؤلم صعب شديد أغلظ من الذى قبله وأدهى وأمر وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم * ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) فاخبر أنهم تارة يكونون فى أكل زقوم وتارة فى شرب حميم وتارة يردون إلى جحيم عياذاً بالله من ذلك وهكذا قال تعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم ، خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، إن هذا ما كنتم به تمترون) وقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولا كريم) وقال تعالى (هذا وإن للطاغين لشر مآب ، جهنم يصلونها فبئس المهاد ، هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم وتكراره وأنواعه وأشكاله مما لايحصيه إلا الله عزوجل جزاء وفاقا (وما ربك بظلام للعبيد)

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله ونبوا أعمالهم على غير أساس صحيح فانها رت وعدموها أحوج ماكانوا إليها ، فقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) أى مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شىء فلم يجدوا شيئاً ولا ألفوا حاصلا إلا كما يتحصل من الرماد إدا اشتدت به الريح العاصفة (فى يوم عاصف) أى دى ريح شديدة عاصفة قوية فلم يقدروا على شىء من أعمالهم التى كسبوا فى الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد فى هذا اليوم كقوله تعالى (وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) وقوله تعالى (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وماظلمهم الله . ولكن أنفسهم يظلمون) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لايهدى القوم الكافرين) وقوله فى هذه الآية (ذلك هو الضلال البعيد) أى سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ماكانوا إليه (ذلك هو الضلال البعيد)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السموات والأرض التى هى أكبر من خلق الناس أفليس الذى قدر على خلق هذه السموات فى ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والحركات المختلفات والآيات الباهرات وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد وبرارى وصحارى وقفار وبحارو أشجار ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها (أولم يروا أن الله الذى خلق

السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ، بلى إنه على كل شيء قدير) وقال تعالى (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون * أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) وقوله (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد* وما ذلك على الله بعزيز) أى بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم كما قال (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وماذلك على الله بعزيز) وقال (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم * ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتدمنكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقال إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً)

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾

يقول تعالى (وبرزوا) أى برزت الخلائق كلها برها وفاجرها لله الواحد القهار أى اجتمعوا له فى براز من الارض وهو المكان الذى ليس فيه شيء يستر أحدا (فقال الضعفاء) وهم الاتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم (للذين استكبروا) عن عبادة الله وحده لا شريك له وعن موافقة الرسل قالوا لهم (إنا كنا لكم تبعا) أى مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) أى فهل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا فقالت القادة لهم (لوهدانا الله لهدينا كم) ولكن حق علينا قول ربنا وسبق فينا وفيكم قدر الله وحقت كلمة العذاب على الكافرين (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) أى ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أوجزعنا منه . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إن أهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا فانما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى الله عزوجل تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا فلما رأو أنه لا ينفعهم قالوا إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) الآية ، قلت والظاهر أن هذه المراجعة فى النار بعد دخولهم إليهم كما قال تعالى (وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ، قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى (قال ادخلو فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ؛ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) وقال تعالى (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) وأما تخاصمهم فى المحشر فقال تعالى (ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تامروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا وأسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن

سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾

يخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ماقضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات ، وأسكن الكافرين الدركات ، فقام فيهم إبليس لعنه الله بومئذ خطيباً ليزيدهم حزنا إلى حزنهم وغبا إلى غبنهم وحسرة إلى حسرتهم فقال (إن الله وعدكم وعد الحق) أى على ألسنة رسله ووعدكم فى اتباعهم النجاة والسلامة وكان وعداً حقا وخبرا صدقا وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم كما قال الله تعالى (يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان إلاغروراً) ثم قال (وما كان لى عليكم من سلطان) أى ما كان لى عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولاحجة فيما وعدتكم به (إلاأن دعوتكم فاستجبتم لى) بمجرد ذلك هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ماجاءوكم به فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه (فلاتلومونى) اليوم (ولوموا أنفسكم) فان الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج واتبعتمونى بمجرد مادعوتكم الى الباطل (ما أنا بمصرخكم) أى بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه (وما أنتم بمصرخىّ) أى بنافعى بانقاذى مما أنا فيه من العذاب والنكال (إنى كفرت بما أشركتمون من قبل) قال قتادة أى بسبب ما أشركتمون من قبل ، وقال ابن جرير يقول إنى جحدت أن أكون شريكا لله عزوجل وهذا الذى قاله هوالراجح كماقال تعالى (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذاحشر الناس كانوا لهم أعداءا وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقوله (إن الظالمين) أى فى إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب أليم والظاهر من سياق الآية أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدمنا ولكن قد ورد فى حديث رواه ابن أبى حاتم وهذا لفظه وابن جرير من رواية عبد الرحمن بن زياد : حدثنى دخين الحجرى عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا جمع الله الأولين والآخرين فقضى بينهم ففرغ من القضاء، قال المؤمنون قد قضى بيننا ربنا فمن يشفع لنا ؟ فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم وذكر نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى فيقول عيسى أدلكم على النبى الأمى فيأتونى فيأذن الله لى أن أقوم اليه فيثور من مجلسى من أطيب ريح شمها أحدقط حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى إلى ظفر قدمى ثم يقول الكافرون هذا قدوجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ؟ ماهو إلا إبليس هو الذى أضلنا ، فيأتون إبليس فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فإنك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه من أنتن ريح شمها أحدقط ثم يعظم نحيبهم (وقال الشيطان لماقضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلاتلومونى ولوموا أنفسكم) » وهذا سياق ابن أبى حاتم ورواه المبارك عن رشدين بن سعد عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن دخين عن عقبة به مرفوعا ، وقال محمد بن كعب القرظى رحمه الله لما قال أهل النار (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) قال لهم إبليس (إن الله وعدكم وعد الحق) الآية فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) وقال عامر الشعبى يقوم خطيبان يوم القيامة على رءوس الناس يقول الله تعالى لعيسى بن مريم (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟) إلى قوله (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قال ويقوم إبليس لعنه الله فيقول (وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى) الآية . ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا اليه من الخزى والنكال ، وأن خطيبهم إبليس عطف بمآل السعداء فقال (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا (خالدين فيها) ماكثين أبدا لايحولون ولا يزولون (بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام) كما قال تعالى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم)

وقال تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) وقال تعالى (ويلقون فيها تحية وسلاما) وقال تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (مثلا كلمة طيبة) شهادة أن لا إله إلا الله (كشجرة طيبة) وهو المؤمن (أصلها ثابت) يقول لا إله إلا الله فى قلب المؤمن (وفرعها فى السماء) يقول يرفع بها عمل المؤمن الى السماء وهكذا قال الضحاك وسعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح فى كل حين ووقت وصباح ومساء وهكذا رواه السدى عن مرة عن ابن مسعود قال هى النخلة وشعبة عن معاوية بن قرة عن أنس هى النخلة ، وحماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس أن رسول الله ﷺ أتى بقناع بسر فقرأ (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال هى النخلة ، وروى من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفا وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وغيرهم ، وقال البخارى حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبى أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أخبرونى عن شجرة تشبه ـ أو ـ كالرجل المسلم لا يتحات ورقها صيفا ولا شتاء وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » قال ابن عمر فوقع فى نفسى أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ « هى النخلة » فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى أنها النخلة . قال ما منعك أن تتكلم ؟ قلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا ، قال عمر : لأن تكون قلتها أحب الىّ من كذا وكذا ، وقال أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثا واحدا قال كنا عند رسول الله ﷺ وأتى بجمار فقال « من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم » فأردت أن أقول هى النخلة فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هى النخلة» أخرجاه . وقال مالك وعبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن » قال فوقع الناس فى شجر البوادى ووقع فى قلبى أنها النخلة فاستحييت حتى قال رسول الله ﷺ « هى النخلة » أخرجاه أيضا ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبان يعنى ابن زيد العطار حدثنا قتادة أن رجلا قال يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ، فقال « أرأيت لو عمد إلى متاع الدنيا فركب بعضه على بعض أكان يبلغ السماء ، أفلا أخبرك بعمل أصله فى الأرض وفرعه فى السماء ؟» قال ماهو يا رسول الله ؟ قال « تقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر مرات فى دبر كل صلاة فذاك أصله فى الأرض وفرعه فى السماء » وعن ابن عباس (كشجرة طيبة) قال هى شجرة فى الجنة وقوله (تؤتى أكلها كل حين) قيل غدوة وعشيا وقيل كل شهر وقيل كل شهرين وقيل كل سنة أشهر وقيل كل سبعة أشهر وقيل كل سنة ، والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر فى كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار فى كل وقت وحين (بإذن ربها) أى كاملا حسنا كثيرا طيبا مباركا (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات مشبه بشجرة الحنظل ويقال لها الشريان رواه شعبة عن معاوية بن أبى قرة عن أنس بن مالك : أنها شجرة الحنظل ، وقال أبو بكر البزار الحافظ حدثنا يحيى بن محمد السكن حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع حدثنا شعبة عن معاوية بن

قرة عن أنس أحسبه رفعه قال (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال هى النخلة (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) قال هى الشريان ثم رواه عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن معاوية عن أنس موقوفا ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هى الحنظلة » فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : هكذا كنا نسمع ، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به ورواه أبو يعلى فى مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا غسان عن حماد عن شعيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع عليه بسر فقال (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) فقال « هى النخلة » (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة احتثت من فرق الأرض مالها من قرار) قال هى الحنظل » قال شعيب فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : كذلك كنا نسمع. وقوله (اجتثت) أى استؤصلت (من فوق الأرض مالها من قرار) أى لا أصل لها ولا ثبات ، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر عمل ولا يتقبل منه شىء

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾

قال البخارى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أخبرنى علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم إذا سئل فى القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) » ورواه مسلم أيضاً وبقية الجماعة كلهم من حديث شعبة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال « استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثا ثم قال «إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ـ قال ـ فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها يعنى على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك ؟ فيقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ـ قال ـ فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى كنت يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يأتى بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى ـ قال ـ وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة: اخرجى

إلى سخط من الله وغضب ـ قال ـ فتفرق فى جسده فينتزعه كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ماهذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ـ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) فيقول الله اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ـ ثم قرأ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ماهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى منادى من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول ومن أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة » ورواه أبو داود من حديث الأعمش والنسائى وابن ماجه من حديث المنهال بن عمرو به ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة فذكر نحوه وفيه « فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم » وفى آخره « ثم يقيض له أعمى أصم أبكم وفى يده مرزبة لو ضرب بها جبل لكان ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شىء إلا الثقلين » قال البراء ثم يفتح له باب إلى النار ويمهد له من فرش النار ، وقال سفيان الثورى عن أبيه عن خيثمة عن البراء فى قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) قال عذاب القبر . وقال المسعودى عن عبد الله بن مخارق عن أبيه عن عبد الله قال : إن المؤمن إذا مات أجلس فى قبره فيقال له ما ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فيثبته الله فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وقال الإمام عبد بن حميد رحمه الله فى مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة » قال النبى صلى الله عليه وسلم « فيراهما جميعا » قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم القيامة رواه مسلم عن عبد بن حميد به وأخرجه النسائى من حديث يونس بن محمد المؤدب به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتانى القبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبده فيقول له الملك انظر إلى مقعدك الذى كان لك فى النار قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذى ترى من النار مقعدك الذى ترى من الجنة فيراهما كليهما ، فيقول المؤمن دعونى أبشر أهلى فيقال له اسكن ، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى أقول كما يقول الناس ، فيقال له لا دريت هذا مقعدك الذى كان لك فى الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار » قال جابر فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يبعث كل عبد فى القبر على ما مات ، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه » إسناد صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال:

شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق من حديد فأقعده فقال ما تقول فى هذا الرجل ؟ فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له بابا إلى النار فيقول كان هذا منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت فهذا منزلك فيفتح له بابا إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له اسكن ويفسح له فى قبره ، وإن كان كافرا أو منافقا يقول له ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فيقول لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا إلى الجنه فيقول له هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت به فإن الله عزوجل أبدلك به هذا فيفتح له بابا إلى النار ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحة يسمعها خلق الله عزوجل كلهم غير الثقلين ، فقال بعض القوم يارسول الله ما أحد يقوم عليه ملك فى يده مطراق إلا هيل عند ذلك فقال رسول الله ﷺ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وهذا أيضا إسناد لا بأس به فان عباد بن راشد التميمى روى له البخارى مقرونا ولكن ضعفه بعضهم وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان . قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقولون مرحبا بالروح الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان ـ قال ـ فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عزوجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل فى الحديث الأول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل له فى الحديث الأول . ورواه النسائى وابن ماجه من طريق ابن أبى ذئب بنحوه ؛ وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك ـ قال ـ ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه عزوجل فيقول انطلقوا به إلى آخر الأجل . وإن الكافر إذا خرجت روحه ـ قال حماد ـ وذكر من نتنها وذكر مقتا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل ـ قال أبو هريرة فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا.

وقال(١) ابن حبان فى صحيحه حدثنا عمر بن محمد الهمدانى حدثنا زيد بن أخرم حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن قسام بن زهير عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجى إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح مسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا يشمونه حتى يأيوا به باب السماء فيقولون ما هذه الريح الطيبة التى جاءت من قبل الأرض ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحابه من أهل الغائب بغائبهم فيقولون ما فعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فانه كان فى غم فيقول قد مات أما أتاكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية ، وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى إلى غضب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض »

وقد روى أيضا من طريق همام بن يحيى عن أبى الجوزاء عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه قال « فيسأل مافعل فلان ، مافعل فلان ، مافعلت فلانة ، قال وأما الكافر فإذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحا أنتن من هذه فيبلغ بها الأرض السفلى » قال قتادة وحدثنى رجل عن سعيد بن المسيب عن عبدالله ابن عمرو قال : أرواح المؤمنين تجتمع بالجابيين ، وأرواح الكفار تجتمع ببرهوت سبخة بحضرموت ثم يضيق عليه

(١) من هنا إلى قوله الآتى : وقال الحافظ أبو عيسى الترمذى غير موجود فى النسخة المكية .

قبره . وقال الحافظ أبو عيسى الترمذى رحمه الله حدثنا يحيى بن خلف حدثنا بشر بن المفضل عن عبدالرحمن عن سعيد ابن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قبر الميت ـ أو قال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين وينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان نم نومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدرى فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » ثم قال الترمذى هذا حديث حسن غريب . وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) ـ قال ـ « ذلك إذا قيل له فى القبر من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربى الله : ودينى الإسلام ونبى محمد جاءنا بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت فيقال له صدقت على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث » وقال ابن جرير حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « والذى نفسى بيده إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين ، فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلى مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ما قبلى مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام ما قبلى مدخل فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات ما قبلى مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له أخبرنا عما نسألك فيقول دعنى حتى أصلى فيقال له إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك فيقول وعم تسألونى ؟ فيقال أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول أى محمد ؟ فيقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعليه تبعث إن شاء الله ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ويفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم تجعل نسمته فى النسم الطيب وهى طير خضر يعلق بشجر الجنة ويعاد الجسد إلى ما بدىء من التراب » وذلك قول الله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد ابن عمر وذكر جواب الكافر وعذابه . وقال البزار حدثنا سعيد بن بحر القراطيسى حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة أحسبه رفعه قال « إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين فيود لو خرجت يعنى نفسه والله يحب لقاءه وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض ، فاذا قال تركت فلانا فى الأرض أعجبهم ذلك وإذا قال إن فلانا قد مات قالوا ما جىء به إلينا ، وإن المؤمن يجلس فى قبره فيسئل من ربك فيقول ربى الله ، ويسئل من نبيك فيقول محمد نبيى فيقال ماذا دينك ؟ قال دينى الإسلام فيفتح له باب فى قبره فيقول ـ أو يقال ـ انظر إلى مجلسك ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة وإذا كان عدو الله نزل به الموت وعاين ما عاين فانه لا يحب روحه أبداً والله يبغض لقاءه فاذا جلس فى قبره أو أجلس فيقال له من ربك ؟ فيقول لا أدرى فيقال لا دريت فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين ثم يقال له نم كما ينام المنهوش » قلت لأبى هريرة ما المنهوش ؟ قال الذى تنهشه الدواب والحيات ثم يضيق عليه قبره ثم قال لا نعلم رواه إلا الوليد بن مسلم[1] . وقال الأمام أحمد رحمه الله حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال : كانت أسماء يعنى بنت الصديق رضى الله عنها تحدث عن النبى ﷺ قالت : قال « إذا دخل الإنسان قبره فان كان مؤمنا حف به عمله الصلاة والصيام قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ومن نحو الصيام فيرده قال فيناديه اجلس فيجلس فيقول له ماذا تقول فى هذا الرجل يعنى النبى ﷺ

(١) فى النسخة المكية ابن قاسم .

قال من ؟ قال محمد ، قال أشهد أنه رسول الله، قال وما يدريك أدركته ، قال أشهد أنه رسول الله قال : يقول على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول له ماذا تقول فى هذا الرجل ؟ قال أى رجل ؟ قال محمد ؟ قال يقول والله ما أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، قال له الملك على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، قال ويسلط عليه دابة فى قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ماشاء الله صماء لا تسمع صوته فترحمه » . وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس ، فاذا دفن أجلس فى قبره فيقال له من ربك ؟ فيقول ربى الله ، فيقال له من رسولك ؟ فيقول محمد ﷺ فيقال له ماشهادتك ؟ فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فيوسع له فى قبره مد بصره ، وأما الكافر فتنزل عليه الملائكة فيبسطون أيديهم ، والبسط هو الضرب (يضربون وجوههم وأدبارهم) عند الموت ، فاذا أدخل قبره أقعد فقيل له من ربك ؟ فلم يرجع اليهم شيئا وأنساه الله ذكر ذلك ، وإذا قيل من الرسول الذى بعث اليك ؟ لم يهتد له ولم يرجع اليهم شيئا (كذلك يضل الله الظالمين) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى حدثنا شريح بن مسلمه حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى إسحق عن عامر بن سعد البجلى عن أبى قتادة الأنصارى فى قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) الآية ، قال إن المؤمن إذا مات أجلس فى قبره فيقال له من ربك ؟ فيقول الله ، فيقال له من نبيك : فيقول محمد بن عبدالله ، فيقال له ذلك مرات ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك من النار لو زعت ، ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى منزلك من الجنة إذا ثبت ، وإذا مات الكافر أجلس فى قبره فيقال له : من ربك ؟ من نبيك فيقول لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون ، فيقال له لا دريت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر إلى منزلك إذ ثبت ، ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى منزلك إذ زغت فذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا) قال لا إله إلا الله (وفى الآخرة) المسئلة فى القبر ، وقال فنادة أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح (وفى الآخرة) فى القبر ، وكذا روى عن غير واحد من السلف ، وقال أبو عبدالله الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الأصول حدثنا أبى حدثنا عبدالله بن نافع عن ابن أبى فديك عن عبد الرحمن بن عبدالله عن سعيد بن المسيب عن عبدالرحمن بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال « إنى رأيت البارحة عجبا ، رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عنه ، ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما وردحوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمتى والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى ، ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعشر المؤمنين : كلموه فكلموه ، ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت له سترا على وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتى قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ، ورأيت رجلا من أمتى قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ، ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى هوى فى

النار فجاءته دموعه التى بكى من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاء حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً فجاءته صلاته على فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى باب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » قال القرطبى بعد إيراده هذا الحديث من هذا الوجه هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة أورده هكذا فى كتابه التذكرة . وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى هذا حديثاً غريباً مطولا فقال : حدثنا أبو عبدالرحمن أحمد بن إبراهيم النكرى حدثنا محمد ابن بكر البرسانى أبو عثمان حدثنا أبو عاصم الحبطى وكان من أخيار أهل البصرة وكان من أصحاب حزم ، وسلام بن أبى مطيع حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك عن تميم الدارى عن النبى ﷺ قال : يقول الله عز وجل لملك الموت انطلق إلى ولي فأتنى به فانى قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ، ائتنى به فلأريحنه . فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفى رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحف به الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة فان نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة تارة بأزواجها وتارة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبى أهله إذا بكى قال وإن أزواجه ليبتهشن عند ذلك ابتهاشا قال وتبرز الروح قال البرسانى يريد أن تخرج من العجل إلى ماتحب قال ويقول ملك الموت اخرجى يا أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال ولملك الموت أشد به لطفا من الوالدة بولدها يعرف أن ذلك الروح حبيب لربه فهو يلتمس بلطفه تحببا لديه رضاء للرب عنه فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين قال : وقال الله عزوجل (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) وقال (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) قال روح من جهة الموت وريحان يتلقى به وجنة نعيم تقابله قال فاذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد جزاك الله عنى خيرا فقد كنت سريعا بى إلى طاعة الله بطيئا بى عن معصية الله فقد نجيت وأنجيت قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكى عليه بقاع الأرض التى كان يطيع الله فيها وكل باب من السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة قال فاذا قبض ملك الموت روحه أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده فلا يقلبه بنو آدم لشق إلا قلبته الملائكة قبلهم وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بنى آدم وحنوط قبل حنوط بنى آدم ويقوم من باب بيته إلى قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار فيصيح عند ذلك إبليس صيحة تتصدع منها عظام جسده قال ويقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون إن هذا كان عبدا معصوما قال فاذا صعد ملك الموت بروحه يستقبله جبريل فى سبعين ألفاً من الملائكة كل يأتيه ببشارة من ربه سوى بشارة صاحبه قال فاذا انتهى ملك الموت بروحه إلى العرش خر الروح ساجدا قال يقول الله عز وجل لملك الموت : انطلق بروح عبدى فضعه فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب . قال فاذا وضع فى قبره جاءته الصلاة فكانت عن يمينه وجاءه الصيام فكان عن يساره وجاءه القرآن فكان عند رأسه وجاءه مشيه إلى الصلاة فكان عند رجليه وجاءه الصبر فكان ناحية القبر قال فيبعث الله عز وجل عنقا من العذاب قالوا فيأتيه عن يمينه قال فتقول الصلاة وراءك والله مازال دائبا عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع فى قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رأسه فيقول القرآن والذكر مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رجليه فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية يلتمس هل يجد اليه مصاغا إلا وجد ولى الله قد أخذ جنته قال فينقمع العذاب عند ذلك فيخرج قال ويقول الصبر لسائر الأعمال أما إنه لم يمنعنى أن أباشر أنا بنفسى إلا أنى نظرت ماعندكم فان عجزتم كنت أنا صاحبه فأما إذا أجزأتم عنه فأنا له ذخر عند الصراط والميزان قال ويبعث الله ملكين أبصارهما

كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصى وأنفاسهما كاللهب يطآن فى أشعارهما بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا وقد نزعت منهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير فى يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس قال فيجلس فيستوى جالسا قال وتقع أكفانه فى حقويه قال فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ قال قالوا يارسول الله ومن يطيق الكلام عند ذلك وأنت تصف من الملكين ماتصف؟ قال : فقال رسول الله ﷺ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة * ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) قال فيقول ربى الله وحده لا شريك له ودينى الإسلام الذى دانت به الملائكة ونبيى محمد خاتم النبيين قال فيقولان له صدقت قال فيدفعان القبر فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعا وعن يمينه أربعين ذراعا وعن شماله أربعين ذراعا ومن خلفه أربعين ذراعا ومن عند رأسه أربعين ذراعا ومن عند رجليه أربعين ذراعا قال فيوسعان له مائتى ذراع : قال البرسانى فأحسبه وأربعين ذراعا تحاط به قال ثم يقولان له انظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة قال فيقولان له : ولى الله هذا منزلك إذ أطعت الله فقال رسول الله ﷺ « والذى نفس محمد بيده إنه يصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبداً » ثم يقال له انظر تحتك قال فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار قال فيقولان ، ولى الله نجوت آخر ما عليك قال: فقال رسول الله ﷺ — إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا » قال : قالت عائشة يفتح له سبعة وسبعون بابا إلى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله عزوجل

وبالإسناد المتقدم إلى النبى ﷺ قال : ويقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى عدوى فأتنى به فإنى قد بسطت له رزقى . ويسرت له نعمتى ، فأبى إلا معصيتى فأتنى به لأنتقم منه ، قال فينطلق إليه ملك الموت فى أكره صورة رآها أحد من الناس قط له اثنتا عشرة عينا ومعه سفود من النار كثير الشوك ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ومعهم سياط من نار لينها لين السياط وهى نار تأجج قال فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود فى أصل كل شعرة وعرق وظفر ، قال ثم يلويه ليا شديدا قال فينزع روحه من أظفار قدميه قال فيلقيها فى عقبيه. قال فيسكر عدو الله عن ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه ، قال وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال فيشده الملك الموت شدة فينزع روحه من عقبيه فيلقيها فى ركبتيه ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه فال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال ثم ينتره ملك الموت نترة فينزع روحه من ركبتيه فيلقيها فى حقويه ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال كذلك إلى صدره ثم كذلك إلى حلقه قال ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه قال ويقول ملك الموت اخرجى أيتها الروح اللعينة إلى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم — قال — فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد : جزاك الله عنى شرا فقد كنت سريعا بى إلى معصية الله بطيئا بى عن طاعة الله فقد هلكت وأهلكت — قال — ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الأرض التى كان يعصى الله عليها وتنطلق جنود إبليس اليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا عبدا من ولد آدم النار قال فإذا وضع فى قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه حتى تدخل اليمنى فى اليسرى واليسرى فى اليمنى قال ويبعث الله إليه أفاعى دهما كأعناق الإبل يأخذن بأذنيه وإبهامى قدميه فيقرضنه حتى يلتقين فى وسطه قال ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصى وأنفاسهما كاللهب يطآن فى أشعارهما بين منكبى كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعت منهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير فى يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها، قال فيقولان له اجلس فيستوى جالسا وتقع أكفانه فى حقويه ، قال فيقولان له من ربك، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيقول لا أدرى فيقولان له لا دريت ولا تليت فيضربانه ضربة يتطاير شررها فى قبره ثم يعودان ، قال فيقولان انظر فوقك فينظر فإذا باب مفتوح من الجنة فيقولان : عدو الله هذا منزلك لو أطعت الله .قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدا » — قال — ويقولان له انظر تحتك فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار — فيقولان: عدو الله — هذا

منزلك إذ عصيت الله قال رسول صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً » قال : وقالت عائشة ويفتح له سبعة وسبعون بابا إلى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله إليها . هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب ويزيد الرقاشى راويه عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة والله أعلم ، ولهذا قال أبو داود حدثنا إبراهيم بن موسى الرازى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بجير عن هانىء مولى عثمان عن عثمان رضى الله عنه قال ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل » تفرد به أبو داود ، وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم) الآية حديثا مطولا جداً من طرق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا وفيه غرائب أيضاً

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾

قال البخارى قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) ألم تعلم كقوله (ألم تر كيف) (ألم تر إلى الذين خرجوا) البوار الهلاك بار يبور بوراً (قوما بورا) هالكين . حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) قال هم كفار أهل مكة وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية هو جبلة ابن الأيهم والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول وإن كان المعنى يعم جميع الكفار فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ومن ردها وكفرها دخل النار ، وقد روى عن على نحو قول ابن عباس الأول . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل أن ابن الكواء سأل عليا عن (الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم كفار قريش يوم بدر ، حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا بسام هو الصيرفى عن أبى الطفيل قال جاء رجل إلى على فقال يا أمير المؤمنين من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال منافقو قريش وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل قال قرأت على معقل عن ابن أبى حسين قال : قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ألا أحد يسألنى عن القرآن فوالله لو أعلم اليوم أحداً أعلم به منى وإن كان من وراء البحار لأتيته ، فقام عبد الله بن الكواء فقال من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البور ؟ قال مشركو قريش أتتهم نعمة الله الإيمان فبدلوا نعمة الله كفراً وأحلو قومهم دار البوار .

وقال السدى[1] فى قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) الآية ذكر مسلم المستوفى عن على أنه قال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة ، فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر ، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد ، وكان أبو جهل يوم بدر وأبو سفيان يوم أحد ، وأما دار البوار فهى جهنم

وقال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحارث أبو منصور عن إسرائيل عن أبى إسحق عن عمرو ابن مرة قال سمعت عليا قرأ هذه الآية (وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين ورواه أبو إسحق عن عمرو بن مرة عن على نحوه ، وروى من غير وجه عنه . وقال سفيان الثورى عن على بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب فى قوله (ألم تر لى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) قال هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين . وكذا رواه حمزة الزيات عن عمرو بن مرة قال : قال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين هذه الآية (ألم تر إلى الذين نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم الأفجران

(١) فى النسخة المكية : ذكر قول السدى هذا بعد قول ابن أبى حاتم الآن .

من قريش أخوالى وأعمامك . فأما أخوالى فاسأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين . وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر ، وكذا رواه مالك فى تفسيره عن نافع عن ابن عمر وقوله (وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله) أى جعلوا له شركاء عبدوهم معه ودعوا الناس إلى ذلك ، ثم قال تعالى مهددا لهم ومتوعدا لهم على لسان نبيه ﷺ (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) أى مهما قدرتم عليه فى الدنيا فافعلوا فمهما يكن من شىء (فإن مصيركم إلى النار) أى مرجعكم وموئلكم إليها كما قال تعالى : (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وهى عبادة الله وحده لا شريك له وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب ، والمراد بإقامتها هو المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها ، وأمر تعالى بالانفاق مما رزق فى السر أى فى الخفية والعلانية وهى الجهر ، ولبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم (من قبل أن يأتى يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه ولا خلال) أى ولا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه كما قال تعالى (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) وقوله (ولا خلال) قال ابن جرير يقول ليس هناك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالفته ، بل هناك العدل والقسط ، والخلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فأنا أخاله مخالة وخلالا ومنه قول امرئ القيس :

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى * ولست بمقلى الخلال ولا قالى

وقال قتادة إن الله قد علم أن فى الدنيا بيوعا وخلالا يتخالون بها فى الدنيا فينظر الرجل من يخالل وعلام يصاحب ، فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله فسيقطع عنه ، قلت والمراد من هذا أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحدا بيع ولا فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا لو وجده ولا تنفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقى الله كافرا قال الله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفا محفوظا والأرض فراشا (وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى) ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن حملها طافية على تيار ماء البحر تجرى عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر لجلب ما هنا إلى هناك ، وما هناك إلى هنا وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقا للعباد من شرب وسقى وغير ذلك من أنواع المنافع (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أى يسيران لا يفتران ليلا ولا نهارا (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله العالمين) فالشمس والقمر يتعاقبان ، والليل والنهار يتعارضان ، فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر (يولج

الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألاهو العزيز الغفار) . وقوله (وآتاكم من كل ماسألتموه) يقول هيأ لكم كل ماتحتاجون اليه فى جميع أحوالكم مما تسألونه بحالكم وقالكم. وقال بعض السلف من كل ماسألتموه ومالم تسألوه ، وقرأ بعضهم (وآتاكم من كل ماسألتموه ومالم تسألوه) وقوله (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) يخبر تعالى عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها كما قال طلق بن حبيب رحمه الله : إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين . وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم لك الحمد غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا إسماعيل بن أبى الحارث حدثنا داود بن المحبر حدثنا صالح المرى عن جعفر ابن زيد العبدى عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله تعالى عليه ، فيقول الله تعالى لأصغر نعمه — أحسبه قال فى ديوان النعم — خذى ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح كله ثم تنحى وتقول : وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم فاذا أراد الله أن يرحمه قال ياعبدى قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت لك عن سيئاتك — أحسبه قال ووهبت لك نعمى —» غريب وسنده ضعيف. وقد روى فى الأثر أن داود عليه السلام قال يارب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة منك علىّ ؟ فقال الله تعالى الآن شكرتنى ياداود ، أى حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكرا لمنعم ، وقال الإمام الشافعى رحمه الله : الحمد لله الذى لايؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها ، وقال القائل فى ذلك .

لو كل جارحة منى لها لغة * تثنى عليك بما أوليت من حسن
لكان مازاد شكرى إذ شكرت به * إليك أبلغ فى الاحسان والمنن

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يذكر تعالى فى هذا المقام محتجا على مشركى العرب بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ماوضعت على عبادة الله وحده لاشريك له وأن إبراهيم الذى كانت عامرة بسببه آهلة تبرأ ممن عبد غير الله وأنه دعا لمكة بالأمن فقال (رب اجعل هذا البلد آمنا) وقد استجاب الله له فقال تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمناً) الآية وقال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا) وقال فى هذه القصة (رب اجعل هذا البلد آمنا) فعرفه لأنه دعا به بعد بنائها ولهذا قال (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق) ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحق بثلاث عشرة سنة فأما حين ذهب باسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة فانه دعا أيضا فقال (رب اجعل هذا بلدا آمنا) كما ذكرناه هنالك فى سورة البقرة مستقصى مطولا . وقوله (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) ينبغى لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته . ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس وأنه تبرأ ممن عبدها ورد أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم كقول عيسى عليه السلام (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وليس فيه أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى لاتجويز وقوع ذلك . قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جرير عن عبد الله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) الآية وقول عيسى عليه السلام (إن تعذبهم فإنهم عبادك) الآية ثم رفع يديه ثم قال « اللهم أمتى اللهم أمتى ، اللهم أمتى » وبكى فقال الله اذهب ياجبريل إلى محمد ، وربك أعلم ، وسله مايبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ ماقال فقال الله اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذى دعابه عند ما ولى عن هاجر وولدها وذلك قبل بناء البيت وهذا كان بعد بنائه تأكيداً ورغبة إلى الله عز وجل ولهذا قال (عند بيتك المحرم) وقوله (ربنا ليقيموا الصلاة) قال ابن جرير هو متعلق بقوله (المحرم) أى إنما جعلته محرما ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيره لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ولكن قال (من الناس) فاختص به المسلمون ، وقوله (وارزقهم من الثمرات) أى ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك وكما أنه واد غير ذى زرع فاجعل لهم ثماراً يأكلونها ، وقد استجاب الله ذلك كما قال (أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا) وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته أنه ليس فى البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهى تجبى إليها ثمرات ما حولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

قال ابن جرير يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم خليله أنه قال (ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن) أى أنت تعلم قصدى فى دعائى وما أردت بدعائى لأهل هذا البلد ، وإنما هو القصد إلى رضاك والإخلاص لك فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شىء فى الأرض ولا فى السماء ثم حمد ربه عز وجل على ما رزقه من الولد بعد الكبر فقال (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربى لسميع الدعاء) أى إنه يستجيب لمن دعاه ، وقد استجاب لى فيما سألته من الولد ثم قال (رب اجعلنى مقيم الصلاة) أى محافظا عليها مقيما لحدودها (ومن ذريتى) أى واجعلهم كذلك مقيمين لها (ربنا وتقبل دعاء) أى فيما سألتك فيه كله (ربنا اغفر لى ولوالدى) قرأ بعضهم ولوالدى بالإفراد وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل (وللمؤمنين) أى كلهم (يوم يقوم الحساب) أى يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾

يقول تعالى ولا تحسبن الله يا محمد غافلا عما يعمل الظالمون أى لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم بل هو يحصى ذلك عليهم ويعده عليهم عداً (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) أى من شدة الأهوال يوم القيامة ، ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر فقال (مهطعين) أى مسرعين كما قال تعالى (مهطعين إلى الداع) الآية وقال تعالى (يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له — إلى قوله — وعنت الوجوه للحى القيوم) وقال تعالى (يوم يخرجون من الأجداث سراعاً) الآية وقوله (مقنعى رءوسهم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد رافعى رءوسهم (لا يرتد إليهم طرفهم) أى أبصارهم ظاهرة شاخصة مديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم عياذاً بالله العظيم من ذلك ، ولهذا قال (وأفئدتهم هواء) أى وقلوبهم

خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف ولهذا قال قتادة وجماعة إن أمكنة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف . وقال بعضهم هي خراب لا تعي شيئا لشدة ما أخبر به تعالى عنهم ، ثم قال تعالى لرسوله ﷺ .

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قيل الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) كقوله (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم) الآيتين وقال تعالى مخبرا عنهم في حال محشرهم (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم) الآية وقال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) الآية وقال تعالى (وهم يصطرخون فيها) الآية قال تعالى رادا عليهم في قولهم هذا (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) أي أولم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحالة أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه وأنه لا معاد ولا حزاء فذوقوا هذا بذلك قال مجاهد وغيره (ما لكم من زوال) أي ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة كقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) الآية (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) أي قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر (حكمة بالغة فما تغنى النذر) وقد روى شعبة عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن رباب[1] أن عليا رضي الله عنه قال في هذه الآية (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) قال أخذ ذاك الذي حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما حتى استغلظا واستفحلا وشبا قال فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى تابوت وجوعهما وقعد هو ورجل آخر في التابوت قال ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم فطارا وجعل يقول لصاحبه انظر ما ترى قال أرى كذا وكذا حتى قال أرى الدنيا كلها كأنها ذباب . قال فصوب العصا فصوبها فهبطا جميعا قال فهو قوله عز وجل (وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال) قال أبو إسحق وكذلك هي في قراءة عبد الله (وإن كاد مكرهم) قلت وكذا روى عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قرآ (وإن كاد) كما قرأ علي وكذا رواه سفيان الثوري وإسرائيل عن أبي إسحق عن عبد الرحمن بن رباب[2] عن علي فذكر نحوه وكذا روى عن عكرمة أن سياق هذه القصة لنمروذ ملك كنعان أنه رام أسباب السماء بهذه الحيلة والمكر كما رام ذلك بعده فرعون ملك القبط ببناء الصرح فعجزا وضعفا وهما أقل وأحقر وأصغر وأدحر ، وذكر مجاهد هذه القصة عن بختنصر وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها نودي أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ثم سمع الصوت فوقه فصوب الرماح فصوبت النسور ففزعت الجبال من هدتها وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك فذلك قوله (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) ونقل ابن جرير عن مجاهد أنه قرأها (لتزول منه الجبال) بفتح اللام الأولى وضم الثانية ، وروى العوفي عن ابن عباس في قوله (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) يقول ما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، وكذا قال الحسن البصري ووجهه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم به ما ضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها وإنما عاد وبال ذلك عليهم قلت ويشبه هذا قول الله تعالى (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) والقول الثاني في تفسيرها ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) يقول شركهم

(١) كذا في الأميرية ، وفي المكية ابن دابل (٢) كذا فيها أيضا . وفي المكية ابن أبان وهو الصواب فيها كما في تقريب التهذيب.

كقوله (تكاد السموات يتفطرن منه) الآيه وهكذا قال الضحاك وقتادة

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

يقول تعالى مقرراً لوعده ومؤكداً (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) أى من نصرتهم فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، ثم أخبر تعالى أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شىء أراده ولا يغالب وذو انتقام ممن كفر به وجحده (فويل يومئذ للمكذبين) ولهذا قال (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) أى وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض ، وهى هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة كما جاء فى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد » وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن داود عن الشعبى عن مسروق عن عائشة أنها قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) قالت قلت أين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال « على الصراط » رواه مسلم منفرداً به دون البخارى والترمذى وابن ماجه من حديث داود بن أبى هند به ، وقال الترمذى حسن صحيح ورواه أحمد أيضاً عن عفان عن وهيب عن داود عن الشعبى عنها ولم يذكر مسروقاً ، وقال قتادة عن حسان بن بلال المزنى عن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فالت :قلت يارسول الله فأين الناس يومئذ ؟ قال « لقد سألتنى عن شىء ماسألى عنه أحد من أمتى ، ذاك أن الناس على جسرهم ، وروى الإمام أحمد من حديث حبيب بن أبى عمرة عن مجاهد عن ابن عباس حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فأين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال « هم على متن جهنم » وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا على ابن الجعد أخبرنا القاسم سمعت الحسن قال: قالت عائشة يارسول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) فأين الناس يومئذ؟ قال « إن هذا شىء ماسألنى عنه أحد ـ قال ـ على الصراط ياعائشة » ورواه أحمد عن عفان عن القاسم بن الفضل عن الحسن به ، وقال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنى الحسن بن على الحلوانى حدثنى أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد يعنى أخاه أنه سمع أبا سلام حدثنى أبو أسماء الرحبى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يامحمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعنى ؟ فقلت ألا تقول يارسول الله فقال اليهودى إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ « إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى » فقال اليهودى جئت أسألك ، فقال رسول الله ﷺ « أينفعك شيئاً إن حدثتك » قال أسمع بأذنى فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال « سل » فقال اليهودى أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله صلى الله وسلم « هم فى الظلمة دون الجسر » قال فمن أول الناس إجازة ؟ فقال « فقراء المهاجرين » فقال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال « زيادة كبد النون » قال فما غذاؤهم فى أثرها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأ كل من أطرافها » قال فما شرابهم عليه ؟ قال «من عين فيها تسمى سلسبيلا » قال صدقت قال وجئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان قال «أينفعك إن حدثتك » قال أسمع بأذنى . قال جئت أسألك عن الولد ، قال «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا باذن الله تعالى وإذا علا منى المرأة منى الرجل آنثا باذن الله» قال اليهودى لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه رسلم « لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشىء منه حتى أتانى الله به » قال أبو جعفر بن جرير الطبرى حدثنا ابن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا ابن أبى مريم حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعى عن أبى أيوب الأنصارى أن حبرا من اليهود سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال

أرأيت إذيقول الله تعالى فى كتابه (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فأين الخلق عند ذلك ؟ فقال «أضياف الله فلن يعجزهم مالديه » ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى بكر بن عبدالله بن أبى مريم به ، وقال شعبة أخبرنا أبو إسحق سمعت عمرو بن ميمون ، وربما قال : قال عبد الله وربما لم يقل فقلت له عن عبدالله فقال سمعت عمرو بن ميمون يقول (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال أرض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى حفاة عراة كما خلقوا قال أراه قال قياما حتى يلجمهم العرق ، وروى من وجه آخر عن شعبة عن إسرائيل عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بنحوه ، وكذا رواه عاصم عن زر عن ابن مسعود به ، وقال سفيان الثورى عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون لم يخبر به أورد ذلك كله ابن جرير ، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبدالله بن عبيد بن عقيل حدثنا سهل بن حماد أبو غياث حدثنا جرير بن أيوب عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبى ﷺ فى قول الله عزوجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال « أرض بيضاء لم يسفك عليها دم ، ولم يعمل عليها خطيئة » ثم قال لانعلم رفعه إلا جرير بن أيوب وليس بالقوى ، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سنان عن جابر الجعفى عن أبى جبيرة عن زيد قال أرسل رسول الله ﷺ إلى اليهود فقال «هل تدرون لم أرسلت اليهم؟» قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « فإنى أرسلت اليهم أسألهم عن قول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) إنها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة » فلما جاءوا سألهم فقالوا تكون بيضاء مثل النقى ، وهكذا روى عن على وابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر أنها تبدل يوم القيامة بأرض من فضة ، وعن على رضى الله عنه أنه قال تصير الأرض فضة والسموات ذهبا ، وقال الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال : تصير السموات جنانا ، وقال أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى عن محمد ابن قيس فى قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم وكذا روى وكيع عن عمر بن بشر الهمدانى عن سعيد بن جبير فى قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه ، وقال الأعمش عن خثيم قال : قال عبدالله بن مسعود : الأرض يوم القيامة كلها نار والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها ويلجم الناس العرق ويبلغ منهم العرق ولم يبلغوا الحساب . وقال الأعمش أيضاً عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قال : قال عبدالله الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها والذى نفس عبدالله بيده إن الرجل ليفيض عرقا حتى ترشح فى الأرض قدمه ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه ومامسه الحساب قالوا مم ذلك يا أباعبدالرحمن ، قال مما يرى الناس ويلقون . وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن كعب فى قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) قال تصير السموات جنانا ويصير مكان البحر ناراً وتبدل الأرض غيرها ، وفى الحديث الذى رواه أبو داود « لايركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر فان تحت البحر ناراً ـ أو تحت النار بحراً ـ » وفى حديث الصور المشهور المروى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظى لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم فى هذه المبدلة » وقوله (وبرزوا لله) أى خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله (الواحد القهار) أى الذى قهر كل شىء وغلبه ودانت له الرقاب وخضعت له الألباب

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ * لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

يقول تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) وتبرز الخلائق لديانها ترى يامحمد يومئذ المجرمين وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم (مقرنين) أى بعضهم الى بعض قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم كل صنف إلى صنف كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال (وإذا النفوس زوجت) وقال (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبوراً) وقال (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد) والأصفاد هى القيود قاله ابن عباس

وسعيد بن جبير والأعمش وعبد الرحمن بن زيد وهو مشهور فى اللغة ، قال عمرو بن كلثوم

فآبوا بالثياب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وقوله (سرابيلهم من قطران) أى ثيابهم التى يلبسونها من قطران وهو الذى تهنأ به الإبل أى تطلى قال قتادة وهو ألصق شىء بالنار . ويقال فيه قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبى النجم

كأن قطرانا إذا تلاها * ترمى به الريح إلى مجراها

وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب وربما قرأها (سرابيلهم من قطران) أى من نحاس حار قد انتهى حره وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقوله (وتغشى وجوههم النار) كقوله (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن إسحق أنبأنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبى كثير عن زيد عن أبى سلام عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ، والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» انفرد بإخراجه مسلم. وفى حديث القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ رفعه « النائحة إذا لم تتب توقف فى طريق بين الجنة والنار وسرابيلها من قطران وتغشى وجهها النار»

وقوله (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يوم القيامة (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) الآية (إن الله سريع الحساب) يحتمل أن يكون كقوله تعالى (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) ويحتمل أنه فى حال محاسبته لعبده سريع النجاز لأنه يعلم كل شىء ولا يخفى عليه خافية وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم كقوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وهذا معنى قول مجاهد (سريع الحساب) إحصاء ويحتمل أن يكون المعنيان مرادين والله أعلم .

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) أى هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن كما قال فى أول السورة (الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الآية (ولينذروا به) أى لينعطوا به (وليعلموا أنما هو إله واحد) أى يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو (وليذكر أولو الألباب) أى ذوو العقول آخر تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين .

﴿ تفسير سورة الحجر وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ * رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وقوله تعالى (ربما يود الذين كفروا) الآية إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا فى الدنيا مسلمين ، ونقل السدى فى تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار قريش لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين . وقيل المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنا ، وقيل هذا إخبار عن يوم القيامة كقوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وقال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى الزاهرية عن عبد الله فى قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال هذا فى الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار ، وقال ابن جرير حدثنى المثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبى فروة